

قراءة في شعر العقيدة الإسلامية (محمود الملاح نموذجاً)

اسماعيل ابراهيم فاضل المشهاني*

ملخص البحث:

يعد (محمود الملاح) من اغنى روافد الشعر الموصلية في العصر الحديث، لما يمتلكه من موهبة شعرية وفنية عالية. فقد انطلق (الملاح) - كالشعراء المسلمين منذ اللحظة الاولى في حديثهم عن الكون والعالم والحياة- من ميدان العقيدة الاسلامية. تكون البحث من مقدمة، وتمهيد يعرض لحياة الشاعر ويقدم مفهوم العقيدة الاسلامية. وتضمن البحث دراسة العقيدة من جانبين:

الاول: الخطاب الالهي.

والثاني: التوحيد.

فقد شكلت العقيدة الاسلامية اهم المضامين الشعرية عند الملاح، لانها تستمد مشروعيتها من الكتاب والسنة. وهذا ما جعلها شاملة تبدأ بـ (الالوهية) لتنتهي بـ (الانسان) الملتزم. لانها ترسخ للايمان في (القلب واللسان) لينعكس في الفعل والسلوك.

Reading Islamic belief poetry:

Mahmoud Al-malah's poetry as eemplification

Assist. Lect. Ismaeel I. F. Al-mashhadany

Abstract:

Mahmoud Al- Malah is regarded as one of the most famous Mosul poets in the modern age because of his poetic talent and his artistic style. He began from the Islamic dogma. In this way he followed the Muslim poets who talked about certain subjects like universe, the world life and so forth. The research includes an introduction which deals with the poets life and the concept of Islamic dogma. It embraces study of the Islamic dogma from two sides: the divine discourse and monotheism.

* مدرس مساعد/ قسم اللغة العربية/ كلية التربية.

Actually the Islamic dogma constitutes the most important poetic implication in Al-Malah poetry because it derives itself from Sunna and from Quraan a matter which makes it universal. It begins with divinity and ends with good man such a dogma implants faith in heart and tongue to be reflected in action and behavior.

المقدمة

ان الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور انفسنا وسيئات اعمالنا، من يهد الله فهو المهتد، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم، وبعد: يشكل هذا البحث استجابة للندوة العلمية التي اقامها مركز دراسات الموصل عن الشعر الاسلامي في الموصل، واعتمد الباحث شخصية تعد من اغنى روافد الشعر الموصل، الا وهو: محمود الملاح، احد ابناء الموصل المغتربين، فقد طال به السفر عنها، وترسخ فيه القصد دونها. ورغم ذلك بقي مخلصا لها وكاتبها اجمل قصائده الشعرية، فضلا عن عرضه في شعره للشخصيات الموصل البارزين من امثال الامام المصلح: عبد الله النعمة وغيره -رحمه الله رحمة واسعة-. فهذه الاسباب وللمكانة التي بلغها الملاح في مختلف المجالات تم اختياره موضوعا للدراسة.

فيتحدد البحث بقراءة العقيدة الاسلامية في شعر محمود الملاح، فقد انطلق الشعراء المسلمون منذ اللحظة الاولى في حديثهم عن الكون والحياة من ميدان العقيدة الاسلامية، وليس ذلك توسيعا لشمولها بل مصداقا لمحيطها في الحياة، فباسلمة العقيدة نجدها محيطة بكل شئ بيانا و رؤية و سلوكا.

وبهذا نتبين ان مجال البحث هو اظهار شمول العقيدة لاركان الحياة، ومن ثم بيان وجهة الملاح فيها، وكيفية توظيف النص الشعري لبيان عقيدته ومبادئه الاسلامية. وقد اتبع في البحث منهج التحليل القائم على (العلاقات) اللغوية والاسلوبية، في بيان امتداد الكلمة ومعطياتها وعلاقتها مع الكلمات الاخرى، لتشكل نسقا تعبيريا متميزا. وتكون البحث من مقدمة، وتمهيد اشتمل على حياة الشاعر بصورة مقتضبة، وحاولنا بيان مفهوم العقيدة لتشكل مهاد نظري للامتدادات التي سيعالجها الملاح في قصائده الشعرية. اما قراءة شعرية العقيدة فقد تأسست على قسمين: خصص الاول للخطاب الالهي، فقد تشكلت العقيدة وفقا لذلك الخطاب واستمدت قدسيته منه، لانه يشمل عملية ايصال الرسالة السماوية الى المتلقي. اما

القسم الثاني فعرض لمفهوم التوحيد وامتداده الاعتقادي والطلبى. لبيان مفهوم العقيدة على ارض الواقع، وكيفية تجاوز تلك السلبيات واصلاحها. وفي الختام ادعو الله ان يوفقنا لكل خير، والله ولي التوفيق.

التمهيد

سنعرض في التمهيد سيرة محمود الملاح وبيانا لمفهوم العقيدة الاسلامية، لان السيرة تشكل المد الاول لشعره، كما ان العقيدة تمثل الاساس الذي قام عليه شعره.

اولاً: سيرة الملاح^(١)

ولد محمود بن عبد الله بن يونس الملاح في الموصل سنة ١٣٠٩ هـ الموافق لـ ١٨٩١ م. في منطقة باب لكش في بيت ثراء وتجارة، ويقع في الجهة المقابلة لحمام لكش. ترجع عائلة محمود الملاح إلى (البو حمدان)، أما عن نشأة (الملاح) فقد بدأ مسيرته العلمية بدخول المدرسة العثمانية، فأتقن فيها قواعد اللغة التركية إلا أنه لم يكمل تحصيله العلمي فيها، مما دفعه للانتماء للمدارس الاسلامية فلازم الامام عبد الله النعمة-رحمه الله-في مدرسة العراكة. ودرس عليه (علوم الجادة) من فقه ونحو وصرف وكتباً متنوعة.

وقد لازم الملاح شيخه لزوماً راسخاً وتأثر به إلى أبعد حد فتبنى منهجه الاصلاحى، ولم يقف عند هذا الحد بل خطط الاستاذ النعمة بالعمل الجماعى مع الاخوين (أحمد الديوه جى و عثمان الديوه جى) لاصلاح الامة. فمحمود الملاح نشأ إبان هذه التطورات وآمن بها، وعزف عن التقليد الجامد والاطر المقيدة وسار في ركاب الاصلاح. وإذا كان الامام عبدالله النعمة هو شيخه الاول فلايعني هذا أنه لم يدرس على غيره، بل التحق بـ(المدرسة العمرية) للدراسة على الشيخ عثمان الديوجى فقرأ عليه مغنى اللبيب.

ووفق الملاح في الجمع بين الدراسة والوظيفة حتى نال الاجازة العالمية على يد شيخه الامام عبد الله النعمة في سنة ١٣٣٠ هـ الموافق ١٩١٢ م. وقد وصف الملاح الاجازة بأنها: اول اجازة استقل بها العلم عن التصوف، فلم ألبس (الخرقة) فيها.

أما عن الملاح والمجتمع فنحن ان نتبعنا سيرته نجد البوادر الاسلامية تتبع من محيطه، فقد وصّف اباه بأنه متدين^(٢)، وهذا ما انعكس في توجيهه لطلب العلم. أما مجتمعه ككل فان " أهل الموصل أقرب إلى الفطرة " -حسب الملاح- فضلاً عن تلك الدروس التي كان الشيخ عبد الله النعمة يعلمها للناس، فقد اثرت في اهالي الموصل تأثيراً عظيماً.

اما تاثر الملاح بالمصلحين الاخرين، فيقول عن ذلك: "ان لي شيخين لم القهما، احدهما أدركت عصره والآخر بيني وبينه عصور كلاهما اسمه عبدالرحمن". الاول هو الكواكبي صاحب كتاب (ام القرى) والثاني هو المعلمي اليماني صاحب كتاب (العلم الشامخ في ايثار الحق على الالباء والمشايخ).

ترك الملاح الموصل وسافر الى سوريا واستقر ببغداد، وهذا لايغني أنه قد تخلى عن الموصل، فصلته بها قوية وهذا ما جعله يكتب قصديتين باسم (أم الربيعين):
يا بلدة كان بها منبتي أحنو عليها بفؤادين
أزود عنها أنا إذ لم أكن بنائب عنها ولا عين^(٣)

وان كان هذا لا ينفي سبباً آخر للهجرة، وهو ان بغداد اوسع مجالاً للحركة من الموصل^(٤). وهذا ما يسر له حضور مجالس عبدالعزيز الثعالبي وفهمي المدرس وطه الراوي وعبد اللطيف ثنيان والرصافي والزهاوي وياسين الهاشمي وعباس العزاوي. كما أن ذلك يسر له الاتصال بكبار المثقفين من امثال عبدالقادر المغربي ومحمد بهجت البيطار ومحب الدين الخطيب ومحمد كمال الخطيب والطاهر بن عاشور والافادة منهم.

أنشأ الملاح جريدة ادبية باسم (التجدد) في ٢٤ تموز ١٩٣٠ لكنه لم يصدر منها سوى عدد واحد. ويبقى العقد الثالث من القرن العشرين من أخصب العقود بغنى شعره نظراً لكثرة الاحداث التي مر بها في هذه الفترة، أو لأنها اولى الفترات التي نضج بها شعره بالمقارنة إلى الفترات السابقة. وقد كتب عبد القادر البراك مقالة عنه بعنوان: " الاستاذ محمود الملاح الشاعر الذي ضاق بعصره فاعتزل ". وترجع هذه العزلة - كما يقول الاستاذ سعيد الديوه جي - إلى تباين الواقع الذي عاشه الشاعر عن المثال الذي ابتغاه^(٥).

وشهد العقد الخامس من القرن العشرين قمة نتاجه النثري، ومن كتبه: الامام سعود قائد الحج الاكبر، تحذير المسلمين من المتلاعبين بالدين، حقيقة اخوان الصفا، دقائق وحقائق في مقدمة ابن خلدون، عبد الباقي العمري سياحة فكرية في ديوانه الترياق الفاروقي، مقدمة ابن خلدون دراسة ونقد، النحلة الاحمدية وخطرها على الاسلام، نظرة ثانية في مقدمة ابن خلدون، الوحدة الاسلامية بين الاخذ والرد^(٦) وقد كتبها جميعها بين سنتي ١٩٥١-١٩٥٦، وقد توفي الملاح في بغداد في ٢٨ ذي الحجة ١٣٨٨هـ الموافق ١٨/آذار/١٩٦٩. وورثاه والدنا الشيخ ابراهيم فاضل المشهداني بقصيدة نورد منها الابيات التالية:

| | |
|-------------------------|--|
| علم هوى في ليلة ظلما | وعيون قومي كحلت ببيكاء |
| وطوى لمحمود الممات بحجة | تأتي المنية أمة الفقهاء |
| تاريخه أجل لحب وفاء | تبكي الفقيد مدينة الحدياء ^(٧) |
| ٣٤ | ٤٠ |
| ٩٧ | ٤٣٢ |
| | ٥٦ |
| | ٥٠٤ |

١٣٨٨ هـ

ثانياً: مفهوم العقيدة

يدل جذر العقيدة على الربط والشد بقوة، أو الحكم الذي لا يقبل الشك لدى معتقده^(٨). وتعني الاقرار بجميع ما جاء به الرسول محمد ﷺ من امر الايمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، فالعقيدة تعني تصديق الرسول فيما اخبر، والانقياد له فيما امر والابتعاد عما عنه نهى وزجر^(٩).

ومنه تطلق العقيدة على العلم وما يبني عليه من حركة في جانب التوحيد والايان والاسلام، وامور الغيب والنبوات والقدر والاحبار والواجب تجاه الصحابة وامهات المؤمنين - رضوان الله عليهم اجمعين - ويدخل فيها الرد على اهل الاهواء والظلال معاً. انها الادراك الجازم في الدين، الذي ينتفي معه الظن والوهم والشك، وبعبارة اخرى ان العقيدة هي الحياة وما ينضوي تحتها، وعن ذلك يقول الملاح:

| | | | | | | |
|--------|-------|---------|-----|-------|-----|----------------------|
| ماحياة | الفتى | سوى | ما | الفتى | كان | يعتقد |
| فلو | ان | اعتقاده | زال | أضحى | كمن | فُقد ^(١٠) |

اذن تشكل العقيدة الاساس التكويني للتفرعات الحياتية ولقسيمها معاً، فان صحت تطابقت المعطيات البشرية والسنن الكونية، لتبرز الثنائية المتوافقة (العقيدة/الحياة)، التي تتجاوز العلاقة المجردة إلى التأثير المتبادل. فالحياة تفعم بالخير والحق ان سادتها العقيدة الصحيحة، والعقيدة تنتفس بالفطرة باكورة الحياة واساسها النظري. ومن دونها يصبح وجود الانسان عبثياً لاجدى منه ولاطائل. فالعقيدة تجعل من الحياة مؤمنة، تتناقض مع الفقد ونفي العقيدة يؤدي بدوره إلى الكفر. ولاريب ان الحدود القادمة ستخرج العقيدة عن ما يبطلها، وتدخلها مصدرها: كتاب الله وسنة رسوله ﷺ الصحيحة واجماع السلف الصالح، استلهاما وفهماً وبتسليم تام لله رب العالمين.

شعر العقيدة الإسلامية

تتميز العقيدة الإسلامية بالبساطة المبنية على حقائق الوجود، وتستمد معالمها من الوحي عندما يدركها العقل بعيداً عن منهج البناء الفلسفي الظني، البشري في كثير من تكهناته وتناقضاته، فلا بد إذن من إبعاد العقيدة الإسلامية عن مناهج الكلام والجدل وانغماساتها النظرية في أمر التفسيرات العقيمة بشأن الكليات الإلهية التي أفسدت على الأمة حياتها وأدت إلى عجزها عن القيام بدورها في الهداية والقيادة. فهذا هو الإطار الصحيح الممثل لعقيدة الإسلام بجديته ادائه وفاعليته في الحياة والوجود على عكس ما انزلق إليه الفكر الإسلامي اللاحق بمنهجيته القائمة على الخلط والتشويه معا.

وعليه فقد اتسعت العقيدة الإسلامية لتغطي مفردات الكون كاملاً. ولم يندُ عنها أي مفردة من مفرداته وفق المنهج الشمولي (من لُدُن عزيز خبير).

ويمكننا ان ندرس العقيدة من جانبين: ١. الخطاب الالهي ٢. التوحيد

اولاً: الخطاب الالهي

يتوضح الخطاب الالهي بسلسلة التتابع التي تمكن الانسان من استلهام المبادئ والتعاليم الالهية علماً وعملاً، ويمكن توضيحها وفق المرتسم الآتي:

اللَّهُ جل جلاله الإسلام/القرآن جبريل/محمد ﷺ الناس كافة

المرسل ← الرسالة ← قناة الاتصال(الرسول) ← المتلقي

وان كان بعضها يتداخل في (التوحيد الاعتقادي اوالطلبي) مما اقتضى البيان هنا والاشارة هناك -ان استلزم الامر ذلك-.

١. فابتداء يُسبح الملاح ويتأمل في شواسع الكون:

| | |
|-------------------------------|--|
| سبحان من بث اجزاء العوالم في | شواسع حيث جار يرقب الجار |
| ألزم الانتظام الصخر جاذبة | عمياء ام ان فوق الكل جبارا |
| من ذا الذي وضع الاثيا مواضعها | وسن لكل قانونا فما جارا |
| وصير الشيء مربوطا بأخر لا | انساب بينهما يوما واصهارا |
| لو كان حي من الاحيا مصادفة | وما هناك خلا ريحا واعصارا |
| تبارك الله عن خسر يلم به | واين يذهب من يبغيه اخسارا ^(١) |

يتساءل الشاعر عن المجريات الكونية حيث: (خلق العوالم الشاسعة - السنن الكونية العادلة - الانتظام - الارتباط الحياتي) تتجاذبه من كل اتجاه، قال تعالى: {صَنَعَ اللَّهُ الَّذِي اتَّقَنَ كُلَّ شَيْءٍ} (١٢). ونحن ان نتبعنا المفردات نجدها تشمل جزئيات الكون أجمع، حيث الهداية والمخلوقات ذوات الحركة والحياة. فجميع الاحياء والاشياء تسير وفق نظام رسمه رب العالمين. فنقطة الافتراق اذن هو الانسان الذي شكل خرقا للانسجام الكوني في تقديس الله رب العالمين: {وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ} (١٣).

ولذا فقد ابتدأ الشاعر بالتسبيح استغفاراً لما سيقال حكاية عن الاضداد. انه ادخل المعاني في ثنائية متوافقة: (بث العوالم/ التوحيد)، (سن القانون/ التوحيد). وهكذا يتردد التوحيد في جميع مفردات العالم وان كانت نسبه متفاوتة، فان الاقرار بالله الخالق الرازق يؤمن به اغلبية البشر ولذا لم يملك ذلك الحضور في التوجيه الذي ناله توحيد الالهية.

وقد استخدم الشاعر المحسوس (المنظور والملمس) في ذلك حتى يقترب من الاقرار الشامل. فالانسان لا يستطيع الخروج عن الحدود المحيطة، فيها وبتلك المسميات ينظم أمره. ٢. اما (الرسالة) فيشمل مضمونها ثنائية (الاسلام/القرآن) وقد شملت العقيدة ارجائها المتسعة، يقول الملاح:

زفّت الى (خير الانام) رسالة هي للسماء على الثرى تذكار (١٤)

فالرسالة تدخل في ثنائية متوافقة (الاسلام/التوحيد)، وان كانت بعض جوانبها يسودها الاحتواء للثاني. إلا أن الغلبة قد أثبتت له حضور فعلي. فبؤرة البيت تكشف عن غاية الرسالة إذ ان الانسان بطبعه غالبا مايشتمط عن السنن الالهية، ولذا جاءت الرسائل السماوية تذكرة للانسان لكي لا يجحد عن الصراط المستقيم الذي اختاره رب العالمين للبشرية جمعاء. ويبرز الاسلام هنا حضور (القرآن الكريم) لانه كتاب الله الخالد وبه يتبلور الاسلام، ولذا يبني الملاح املاً عظيماً عليه -لاهميته- فيقول مخاطباً المسلمين:

عودوا إلى القرآن واعتصموا به ودعوا الحواشي والوجوه الكلحا
ان الكتاب على تقادم عهده تحكي حقايقه النجوم الملحا
ستبيد اوربا وينشأ غيرها وكتاب أحمد خالد لن يبرحا
وتبيد اقوام وامة أحمد كالطود فوق الارض لن تنزحزح (١٥)

اختار الملاح في قصيدته الرسول الاعظم (القران الكريم) افضل الكتب السماوية، وشكل منه سبيل الاعتصام المنجي، لكونه بؤرة الاسلام، وبه ابتعد عن تطرف الاطراف والواجه المباينة. وفي الابيات ثنائية متضادة (أمة القرآن/اوربا) التي تظهر بوضوح من خلالها، ولكن التوافق في ثنائية الاعتصام بـ (القرآن/الخلود) لم تظهر بنيتها على حروف الالفاظ، ونحن ان تتبعنا معطيات القرآن المستقبلية لوجدناها تجمع بوثاقة بين: (توحيد الله والتمكين في الارض). قال تعالى: **لَوْعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسَخُلَنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا**^(١٦). فقد أفادت (النجوم الملحا) النور اللامع، وهي من سمات الهداية الالهية، وأكد هذا المعنى الثنائية المتوافقة (خلود القرآن/ثبات الامة) لتعني ان عوامل الثبات مستمدة من القرآن.

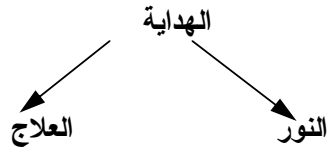
٣. تتألف (قناة الاتصال) في العقيدة الاسلامية من (الرسول محمد/جبريل)، قال تعالى: **(اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ)**^(١٧) فيها تم نقل الخطاب الالهي المشكّل للعقيدة الى (المتلقي). فـ (الرسول) هو القائم باعباء الدعوة الى الله والناشر لهذا الدين في ربوع الارض، ولذا فان منزلته لا يمكن لأخر مقاربتها، يقول الملاح عن الرسول ﷺ:

| | | | | | | | |
|-------|----------|--------|--------|--------|---------|---------|-------|
| طموح | لايدانيه | طموح | روح | عم | منه | الكون | روح |
| نبي | كله | حزم | وعزم | وسيرته | الهداية | والوضوح | |
| أنار | جوانب | الحق | المغشى | فبات | برأس | شاهقة | يلوح |
| طبيب | فوق | راحته | دواء | به | تشفى | من | الجهل |
| أتى | والجهل | يفعم | كل | واد | وفي | الأكوان | فاشية |
| أتانا | مكملا | ما جاء | موسى | به | من | قبل | دهر |

والمسيح^(١٨)

ان العقيدة الاسلامية (نقلية) في تاسيسها، فناشرها الرسول ﷺ. ولدلالة (روح، عم الكون) معنيان: الحياة المتلازمة طردياً وجوداً وانعداماً مع الروح، والثاني الشمولية العالمية، إذ بُعث الرسول ﷺ للناس كافة وهذا ما اقتضى (الوضوح) إذ لا طلاس ولا رموز، وفيه طرح معادٍ لدين (الخواص) ومقتضياته المبهمة وهذه من آثار قول الشاعر (فبات برأس شاهقة يلوح).

ونلاحظ في شعر الملاح توافقاً متواصلًا بين (النبي) والهداية، فلن يحصل الناس اذن على الهداية الا باتباعه، واكد ذلك الشاعر بسيرته إذ نقلها عن المحسوس، واستخدم ثنائية (النور/الطب) في عرضه للهداية لأنهما ركنها الاساس:



فيمثل النور العقيدة الحقة التي أتى بها الرسول ﷺ ويعني العلاج الخروج عن تلك العقائد الزائفة أياً كانت سبلها.

وقد عبر الشاعر بالمحسوس لعلاج المجرّد لتقريب الادراك من المثل، وكما يأتي:

النور ← العقائد المظلمة
العلاج ← الجهل
المعنوي ← المادي

فالجهل وتغشية الحق هما اول ما يجب ان يتوجه اليه مقتفي اثر الرسول ﷺ لازالته وعلاجه. فبالرسول اكتملت حلقات الرسالة الالهية، وقد ذكر الشاعر ثلاثة منها لكون منتسبهم يشكلون نسبة غالبية بين الناس، ولان دينهم واحد وهو الاسلام، فقد قال الله تعالى ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾^(١٩) قبل مبعث (موسى وعيسى) - عليهما السلام - لتأكيد خطأ الافتراق من قبل الاولين مادام (الخاتم) شكل مبعثاً صادقاً ومعصوماً من قبل رب العالمين. ولاريب ان يكون الرسول محمد ﷺ مكتمل الجوانب ومتجاوزا للسابقين ومظهراً لمعطيات شمولية وكلية تدخل تحتها جميع التفرعات. وتقتصر اللغة عن بلوغ اكتمالات السيرة النبوية والشمال المحمدية ولذلك اقتصرنا بالجزء عن الكل.

ولاني ترتجى اليوم بعثته والانبيا ببعث المصطفى ختموا^(٢٠)

فيشكل الرسول ﷺ قمة هرم الانبياء والمرسلين، ويُعد الارتفاع العمودي تكاملاً للرسالات المتتابعة إذ شهدت نهاية مطاف الحذف والزيادة في أبعث صورته. وقد استخدم الشاعر مايسمى بـ(الاصناف المحددة) وهي التي تفرق بين انسان واخر ذلك لأن الذين يُسمون باسم واحد كثيرون^(٢١) ومن هذا نصل إلى أن المعني بـ(المصطفى) هو الرسول محمد ﷺ بدلالة (الانبيا، ختموا) وقد اختار الشاعر هذا المسلك لاعتبارين: لابعاده عن التداولية المجترحة لمنزلته العالية، وترتب على هذا اعتبار ثانٍ وهو عدم قدرة الشاعر على الايفاء بمتطلبات القول بعد ذكر الرسول نظراً لمحدودية الشعر المؤطرة. وقد حصل (المصطفى) على الوصفية، فمعناه: الذي اصطفاه الله

تعالى، فالوصف المحدد معنى عرضي يفيد المدح أو الرفعة بحسب عرف اللغة ومقصدية الشاعر.

اما المكون الثاني لقناة الاتصال فهو: المَلَك جبريل -عليه السلام- عند تتبع اركان السلسلة. لانه من جنس الملائكة، الذين لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون، ولذا يتشائم الملاح من حدوث المعاصي الانسية، عند حديثه عن الطاعة الملائكية:

تشاءمت الملائك اذ أحست بمخلوق لاشجانٍ مثير
أ (تسبيح) و (تقديس) يبارى بعردة لشراب الخمر
ولو أن (الملائكة) استشيرت لما ظنت بنصح المستشير
ولكن جابته مكنون سر لديه العقل في حكم الاسير
وما علم الملائك بالدواهي يقارفها بنو الطين الخمير^(٢٢)

تظهر لنا الابيات ثنائية (الملائكة/الانسان) بتضاد متناوب فقد الحق الشاعر بهم سلسلة من الصفات (اليمن، البركة، التسبيح، التقديس، النصح، الاستسلام، الاعتدال، الطاعة) اذ خلقهم الله سبحانه وتعالى لطاعته وتنفيذ اوامره، فضلاً عن المعنى اللغوي لمادة (ملك) التي تعني (الرسالة)^(٢٣) اذ قد أنزل الله سبحانه (القران) بوساطة المَلَك جبريل - عليه السلام - قال تعالى: {الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا} ^(٢٤) فهم: " اجسام نورانية قادرة على التشكل والظهور باشكال مختلفة شأنهم الطاعة لله تعالى دائماً"^(٢٥).

أما الانسان-وبصورة عامة- فانه على العكس تماماً، اذ غرز في نفسه حب العصيان والمخالفة،ويمكن الاستشهاد على ذلك بقوله تعالى: ((وَإِنْ تَطِعْ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ))^(٢٦). أي ان الثنائية تتكامل بين مولى بالطاعة ومجبول على المعصية. وقد أدخل الشاعر الانسان إلى طبيعته بافعاله (اشجان، عردة، خمر) لذا تشاءمت الملائكة من حصولها.

ان (جبريل) - عليه السلام - هو الروح الامين الذي تنزل على الرسول ﷺ مما أكسبه فضائل متتابعة تتناسب ومكانته بين الملائكة، وفي هذا اشارة إلى وجوب نقل التعاليم الشرعية بوسائل محسوسة، لمنع الادعاء الظاهر في الاحلام والوساوس والمس.

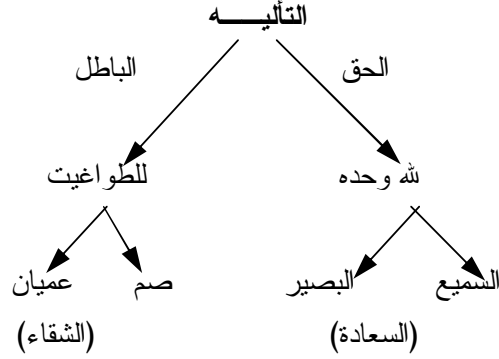
٤. أما (المتلقي) فقد جمعه الملاح وقال عنه:

إنما شكوى بلاد وحدث ربها أن يتعالى صنم

صنم من لولب تحريكه حسبما تهوى العدا أو ترسم
 كيف يرضى لهم الانصاف أن يعبد الاصنام شعب مسلم^(٢٧)
 ان قواعد المحادثة التي لخصها (سورل) تنطبق ابعادها على الابيات المتقدمة،
 ومنها: اولاً: " الشروط التحضيرية، مثل امتلاك الاهلية"^(٢٨). فالمرسل عالم بالاسلام وعلى
 مساس بمجريات الحياة وهذا ما يعكسه شعره ونثره. أما الثاني " فشرط الصدق: ومعناه ان
 لايقول المتكلم الا ما هو مؤمن به"^(٢٩) وهذا ما أسماه (كرايس): " مبدأ الكيفية " فلقد آمن الملاح
 بأن عقيدة التوحيد هي المنجية من عذاب الدنيا (الاحتلال، الفرقة، الضعف) وعذاب الآخرة
 (الجحيم، الغسلين) وهذا ماينطبق عليه " مبدأ الوجهه"^(٣٠) الذي برهن الشاعر على صدقه
 بطريقتين، الاولى: حضور (العدا) في البيت والواقع المعاش والثانية: الآيات والاحاديث المتوافرة
 بمآل عباد الاصنام إلى النار {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ} (٣١)
 والثالث: " الشروط الجوهرية، ويمكن تلخيصها في صدق المقاصد والنوايا كأن لايقول المتكلم ما
 يناقض معتقده"^(٣٢) والشاعر فيما يبثه من افعال يستلهم فيها اسسه العقديّة، فعبادة الله وحده
 تقتضي الترفع عن الخنوع للانسان وما تمليه عليه اهواؤه. وقد سلك الشاعر في رفضه للشرك
 ان يضع قبالة الشيء ضده ليميز بينهما: اولاً: ليلفت الانتباه إلى خطورة خلط المفاهيم. وثانياً:
 ان الاسلام يعني: الاستسلام لله تعالى بالتوحيد والانقياد له بالطاعة^(٣٣). والمسلم من التزم بذلك
 ايماناً وتطبيقاً، وقد كان مشركو الجزيرة يعبدون (الاصنام) حتى جاء رسول الله ﷺ وجاهدهم
 جهاداً كبيراً لخراجهم من الوثنية إلى التوحيد، فهما اذن في اقصى طرفي الشعاع، وعملية خلط
 الاطراف لا يرتضيها منصف.

لقد شقينا وما كانت شقاوتنا إلا لتأليهننا صماً وعمياناً^(٣٤)

تبرز في البيت ثنائية (الشقاء/تأليه الطاغوت) المتوافقة، وقد عبر الشاعر عنهم —
 (الصم والعميان) ليترجح له قطع التواصل بينها والمتلقي. وخطابه في البيت يحوي نهى مضمّر
 عن المنكر، فالانسان بطبعه لايميل إلى الشقاء أي كانت صورته. فقد أعقب الشاعر هذا (التأليه)
 سقوطاً أديماً. وقد بين عبدالحميد بن باديس سبب الهلاك في الطور الاخير للامم بعد أن استشهد
 بايات قرآنية كريمة بقوله: " ان سبب الهلاك والعذاب هو الظلم والفساد والعتو والتمرد عن امر
 الله ورسله والكفر بأنعم الله"^(٣٥) ولعل باكورة قرننا تطابقت ارسالاتها وتلك الجُمع. ويمكننا بيان
 تفرعات التأليه بالمرتمس الآتي:



فيقترب (التأليه الباطل) من استغاثة المانتين وبصورة خاصة عند (ثوانهم)، وهذا له مدُّ

عظيم الخطورة.

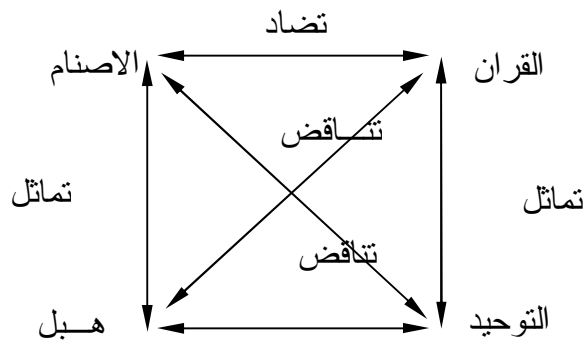
ثانياً: التوحيد

التوحيد هو: " الايمان بالله وحده"^(٣٦) وهو اصل يدل على الانفراد، وهو اصطلاحاً: افراد الله تعالى بالعبادة مع اعتقاد وحدته ذاتاً وصفاتاً وفعالاً. ويترتب على هذا الاعتقاد اقوالاً وفعالاً ويشكل اجتماعها توحيداً خالصاً له اهميته البالغة^(٣٧). وقد عبر عنه الملاح بقوله: " التوحيد رأس مال المسلم"^(٣٨) لانه الاساس الاول للاسلام، اذ قام على عموده المركزي " وليس هذا بالامر الغريب، اذ ان الاسلام نفسه... هو اولاً واخراً دين (التوحيد) أو دين (الوحدانية) التي تجلت فيه الشهادة الاولى (لا الله إلا الله)"^(٣٩). ولذا يتسائل الملاح بمرارة:

يا صاح ! هل لك ان تسايرني لاريك ما يدعو إلى الوهل
 عباد اوثنان وقد خشعوا لتلاوة القرآن حين تلي
 ودعاة توحيد رأيتهم يتهافتون على يدي هبل
 فليحتفظ كل بملته سيمر كلهم على مَل
 ان الانام على اختلافهم حلق استحالات بلا مهل^(٤٠)

ان الحياة بطبيعتها تنقسم فيها المفاهيم الضدية، كل على حده ولكن الشاعر مزج بالتعجب بين الثنائيات المتضادة: (قراءة القرآن/عبادة الاوثان)، (دعاة التوحيد/عباد هبل)، (اهل السنة/مِلل). ليقرر ان هذه الاخلاط المتداخلة تتزاحم فيها المفاهيم، ليبدأ في الفصل البائن بينها، وليتخذ منها منطلقاً لسيره في الحياة.

" فالقرآن كله يدور حول التوحيد، فأيات القرآن إما اخبار عن الله وصفاته وخلقه وفعاله وتدبيره، واما امر ونهي وهما من لوازم ربوبيته وقيوميته على خلقه، واما بيان للثواب بأنواعه، وهو جزاء من اطاعه واتبع رسله الذين أرسلهم بشريعته القائمة على توحيده في الالهية والربوبية... واما اخبار عن احوال المكذبين العصيين، وهو بيان لمن خرج عن مقتضى توحيده وعبادته" (٤١) وليس (هبل) الا واحدا من تلك الاصنام المعبودة من دون الله تعالى فالعلاقة بينهما علاقة تماثل وشمول، كما هو موضح في المستوى العمودي من المربع العلامي الاتي:



تضاد

أما على المستوى الافقي فمفهوم التوحيد يتضاد وهبل، كما أن القرآن الكريم جاء مقرعاً لعباد الاصنام يتوعدهم بنار حامية: { إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ } (٤٢).

وقد استهل الشاعر كلامه عن الارض، وهذا ما جعله فزعا تتجاذبه الاخطار من كل حدب وصوب. ويعد حضور الدليل مصداقا لرسالته: { وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ } (٤٣) بجعلهم اندادا لله سبحانه وتعالى، وهذه الحالة تتطلب جهودا جبارة لفرز المفاهيم وتلافي اختلاطها. وينقسم التوحيد بدوره إلى:

١. التوحيد الاعتقادي

وهو اعتقاد وحدانية الله - سبحانه وتعالى - (٤٤). ويتضمن جميع الاعتقادات الالهية المترتبة على المعرفة. ويتضمن:

أ. توحيد الربوبية

وهو الاقرار بأن: لاخالق غير الله تعالى، ولا مدبر للكون ولامتصرف فيه سواه (٤٥). لقله تعالى: { أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ } (٤٦).

وقد اتخذ الملاح هذا مضمونا لشعره فقال عن من يجحد رب العالمين:

مزق الرحمن عنه ستره من غدا يجحد رحمن رزق
صبغة الله ! ولا أحسن من صبغة الله تعالى من خلق^(٤٧)

ان الطبيعة الانسانية تتوجه بفطرتها نحو الاعلى، وهي بذلك الطائفة الاعظم، عدا شذاذ من الارض جحدوا الخالق كالمدموموي ومن قبلهم الدهريين.
والملاح في معرض جدالهم أتى ببينتين اساسيتين لايمكن انكارهما وهما: (الخلق/الرزق) والبسهما المحسوس، لأن المقابل مغرق بالمادية، فمن الاقنع اذن سلوك سبيل لاينكر، اذ كيف يقدر انسان ان يجحد نفسه ؟ !

فان لم يقدر فمن الاولى الايمان بالخالق الرازق " فليس في العالمين أحد [سواه] يستحق أن يدعى الربوبية أو تدعى له"^(٤٨). فان هناك ثنائيتين (جحد الرب/التمزق)، (الايمان بالخالق/التوحد). وقد اتخذ مسار الكلية والشمول بدلالة (صبغة) لجميع الخلق، فضلاً عن مدلولها (الفطرة) فالاسلام " لا يأمر الا بما يتفق وفطرة الانسان التي فطره الله عليها، ولا ينهى عن شيء إلا إذا كانت تلك الفطرة السليمة تأباه وتشمئز منه... كما ان الفطرة عامة، كذلك مبادئ الاسلام وضعت لكافة البشر"^(٤٩). كما يؤكد الرسول ﷺ على أن: الاسلام = الفطرة بقوله: (كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه)^(٥٠). وقال تعالى: {صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ}^(٥١).

ب. توحيد الاثبات والتنزيه

ويعني اثبات ما اثبته الله تعالى لنفسه -في القرآن الكريم وما جاء على لسان رسوله ﷺ من ذات وصفات واسماء وافعال ويُنتهى عند ذلك ولايزاد عليه. وينزه الله عن مماثلة أو مشابهة شيء من مخلوقاته، ونؤمن بحقيقة (اسماء الله وصفاته) على ما يليق به تعالى بلا كيف، ولانعطلها عن دلالتها في سياقها، وبأن ظاهرها المتعارف في حقنا غير مراد^(٥٢).

فمن اسمائه سبحانه وتعالى (الواحد) ولذا يخاطب الشاعر قومه رجاء الله سبحانه وحده وعدم الالتفات إلى الطاغوت:

وكان رجانا (واحداً) فاذا الذي رجوانه عهد (اللات) يرجع (والعزى)^(٥٣)
(والعزى)^(٥٤)

أما (الصفات) فسنتكفي ببعض منها استشهاداً للكل:

تصاحب يُمنى الله كل مهندس لتسعد يمناه غداة يهندس
فان جعل الاخلاص رائد شغله فخيراته عن جانبيه تكدر (٥٥)

إن هناك نوعاً من التقارب في ثنائية (يمنى الله/ يمنى المهندس) على نطاق اللفظ والتلازم الخارجي للحروف، أما على مستوى التضاد فقد أخذت كل يمنى معناها اللائق مما أضيفت إليه. " ومعنى هذا ان معاني الكلمات تتوقف على مواقعها في الجمل واختلافها عن غيرها. وهذا يؤدي إلى طرح الفكرة الشائعة منذ ارسطو القائلة بان لكل كلمة معنىً جعلت له (٥٦). فالصفات والذات من باب واحد وجوداً وإيماناً واي نفي لاحدهما يستلزم نفي الآخر: يستلزم

الايمان بالذات الالهية ← الايمان بالصفات الالهية

إذ يجب ان " ينزه الله عن المشابهة، والايمان بالصفات بلا كيف وعدم نفيها" (٥٧). وقد عرض الملاح صفة (اليمين) بصورتها الحقيقية وبعدها عن العزل والافتراء، وقد اقتضت التوفيق والسداد مادام مخلصاً لله تعالى متجها نحوه. فقد خاطب الله سبحانه وتعالى رسوله الامين ﷺ بقوله: {إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ} (٥٨). وأخبر الحديث الشريف بأن (كلتا يداه يمين) (٥٩). فإضافة (يمنى الله) إلى العمل لتأييده.

فتوافق الحروف هنا لا يعني الاتباين المفاهيم، فليس في المصاحبة معنى (التماس) فانه سبحانه وتعالى " مطلق الكمال بكل المقاييس وليس كمثلته شيء، وكل موجود مغاير ومخلوق له... وهو الحق ومصدر كل حق وخير وجمال" (٦٠).

وأصبح بعد شرق الارض غرباً إليه الشمس تجري في المسير
وحبة خردل قد وزعتها على اركانها كف الخبير (٦١)

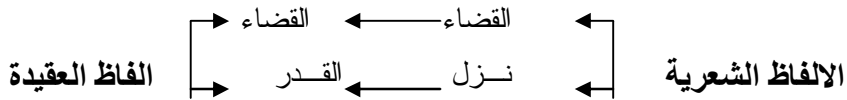
وضعت (كف الخبير) كل شيء في موضعه، وقد أحضر الشاعر قبلها مجريات يوم القيامة لسببين: الاول أن (القيامة) تتطلب الايمان بالعقيدة الاسلامية ككل ومنها (الصفات الالهية)، والثاني ان من ألد (بصفات الله تعالى) فجزاؤه احوال (يوم القيامة). وقد ورد في الحديث الشريف تأكيداً لمذهبنا: (فتربو في كف الرحمن) (٦٢) وتدللاً على صفة (الكف).

جـ. القضاء/القدر

لابد أن نتحدث عن القضاء والقدر ونحن في معرض توحيد الاعتقاد، وقد عرض ابن القيم الجوزية لمراتب القضاء والقدر وقسمها إلى أربعة مراتب: " (المرتبة الأولى) علم الرب سبحانه بالاشياء قبل كونها، (المرتبة الثانية) كتابتها لها قبل كونها، (المرتبة الثالثة) مشيئته لها، (الرابعة) خلقه لها"^(٦٣)، فـ (القضاء): يتوضح في المرتبة الأولى والثانية. فانه سبحانه وتعالى مستوٍ على عرشه ويديه مقاليد الامور فهو الذي سن القوانين وجعل لكل شيء سبباً ولكل معلول علة ولكل اجل كتاب. أما (القدر) فيتوضح في المرتبة الثالثة والرابعة، عندما يتحقق ذلك العلم على ارض الواقع. يقول الملاح:

نزل القضاء ومن يرد قضاء فاستقبلن بصدرك الارزاء^(٦٤)

فقد أفادت عملية (النزول) تحققاً لما في اللوح المحفوظ في بعض معانيها، أو حصولاً له على ارض الواقع - بتعبير آخر - ويمكننا الافادة من النزول بمرجعيات كثيرة يدخل بعضاً منها في مبحث القضاء والقدر، ومنها نصل إلى الثنائية على الرغم من اختفاء شطر منها وذلك عن طريق:



فهناك توافق معنوي بين (نزل) و(خلق الله للاشياء) اذ لم يكن نزولاً مجرداً، بل ترتب عليه امورا استلزمت (الرد، الاستقبال...) وليس هذا فحسب، بل قد صاغ الشاعر بنية البيت الداخلية متابعة لمقصدية. فقد تراتبت على الصدر (ومن يرد قضاء) معانٍ متعددة، منها: العجز البشري أمام القضاء وتابعه القدر، ثانياً: الحكم الالهي المتسم (بالقوة، الحكمة، العدل...) وفي هذين الامرين نوع من الانجذابية اللازمة لحركة العالم نحو الاعلى مادامت النجاة تنعدم في الاتجاه الادنى.

وقد خص الشاعر (بصدرك) ذكراً، لانه يتسم بالعلو والقوة معاً، فضلاً عن كونه مكنم القلب الحاوي على نبض الحياة والعقل وجميع العواطف، مما جعل الاستقبال يميل الى المرارة لانقطاع (النبض، العاطفة) ويؤكد ذلك موضوع القصيدة فقد قالها الشاعر رثاءً لشيخه عبدالله النعمة - رحمه الله - . أما (الارزاء) فانها تحتم علينا ان نبحثها وفقاً لاركان الايمان (... وان تؤمن بالقدر خيره وشره)^(٦٥) فالشر الذي ظهر في الحديث الشريف واختفى تحت اجنحة

(الارزاء) في البيت الشعري لاينسب " إلى الله (تعالى) بوجه من الوجوه... وانما يدخل الشر الجزئي الاضافي في المقضي المقدّر ويكون شرا بالنسبة إلى محل وخيرا بالنسبة إلى محل آخر" (٦٦).



ولعل في المرتسم ايضاح للمدركات البشرية الوانية أمام الحكمة الالهية الجامعة لكل خير ومعروف.

٢. التوحيد الطلبي

ويدخل في باب العمل المترتب على الاعتقاد. فبشهادة أن (لا اله الا الله) يصبح المرء مسلماً، وان كانت تتطلب فعلاً سائراً في ركبها، اذ لا يكفي (النطق) في التوحيد ولا بد من فعل يسانده ويشد من أزره.

فمن معاني التوحيد توجه القصد إلى الله سبحانه وتعالى، اذ يشترط لقبول العمل شرطان: الاخلاص لله تعالى وحده واتباع الرسول ﷺ. وقد وضع محمود الملاح مفهومه للتوحيد عند تفسيره لفاتحة الكتاب بقوله: "... (اياك نعبد) متوجهين اليك وحدك بقلوبنا. (واياك نستعين) في نيل مطالبنا الدنيوية والاخروية معولين عليك لاعلى غيرك. (اهدنا الصراط المستقيم) هو الحنيفية السمحة التي لا التواء فيها ولا تذبذب ولا تعقيد. (صراط الذين انعمت عليهم) بحرية التوحيد." (٦٧).

ويتضمن التوحيد الطلبي:

أ. توحيد الالهية

ويقصد به ان الله سبحانه وتعالى " هو المستحق للعبادة وحده دون سواه، [ويكون] القصد والتوجه والقيام بالعبادات كلها اليه" (٦٨). قال سبحانه وتعالى بأسلوب الحصر: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٦٩) فارادته سبحانه وتعالى هي المحددة لغاية وجود الكائنات. فـ " ان وحدانية الله تعالى، هي المبدأ الاول للاسلام. ولكل شيء اسلامي وفحوى هذا المبدأ ان الاله هو الله وانه لا اله غيره وانه مطلق الكمال بكل المقاييس" (٧٠)، ومنه نعلم ان العقيدة الاسلامية مبنية على البساطة وعدم التعقيد، لانها مؤسسة على الحقائق لا على الاوهام والاباطيل، " فما دام الله هو الخالق وهو الديان فلن يكون المسلم مسلماً حقاً حتى يفعل كل شيء كما حددته ارادة الحق وجاء به شرع الله قاصداً به وجه الله وحده" (٧١). وعن تحقيق توحيد الالهية لمبدأ التوازن يقول

الدكتور عماد الدين خليل " ان الارتباط بالله وحده هو البدء والمنتهى، وبدونه لن يلتحق المؤمنون في العالم بهذا التوازن المطلوب..."^(٧٢). ويقول الملاح عن التوحيد:

والله أوصى في الكتاب عباده أن يعبدوه ويخلصوا حنفاء
ماكان للرحمن في الملائين من شرك يداخله ولاظهراء
كلا ولاجزء يحل بواحد من خلقه اذ لم يكن اجزاء
دين صريح لاوراب ولاالتوا فيه ليصبح اهله صرحاء
دين على وثنية موروثه أبدا يشن الغارة الشعواء^(٧٣)

فالله سبحانه وتعال هو قبلة اعمال المؤمنين، اما (العبادة) فانها من مقتضيات ذلك النور المتوجه نحو قبلة العالم التي تستلزم الاخلاص: أي افراد المسار في التوجه ومنع التشتت في المقصد. في حين تفرض كلمة (الحنيفية) مدلولاً واسعاً ومهماً. ويمكننا عرض المعاكسات بالمعادلات الآتية:

عبادة + اخلاص = التوحيد، عبادة + لا إخلاص = شرك، لاعبادة + لا إخلاص = لا توحيد
فالتوحيد هو الاساس الاول في الاسلام ويعني اخلاص العبادة لله رب العالمين. اما الفرق بين (الشرك و لا توحيد) فان الشرك يتحقق عند وجود عبادة غير مخصصة، اما (اللاتوحيد) فلا يكون الا عند انتفاء العبادة والاخلاص على حد سواء.

وبعدما اجمله الشاعر في البيت الاول انتقل إلى الاستقصاء، فدخل في تنفيذ الثنائية المتوافقة (الاشراك/ الانداد)، وخصه لخطورته اذ به تحبط الاعمال، يقول الله تعالى مخاطباً رسوله ﷺ: **لَوْ لَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَنْ أَشْرَكَتَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ وَلِتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ**^(٧٤). واوغل في النفي لتعميمه للانس والجان، فعند حضور بنية الشرك في أي موضوع يصبح لاجدوى منه اطلاقاً، اذ لايصح ان يعبد غير الله تعالى لاحقيقة ولادعاء. وفي الحديث الشريف: (أعظم الذنب أن تجعل لله نداً وهو خلقك)^(٧٥).

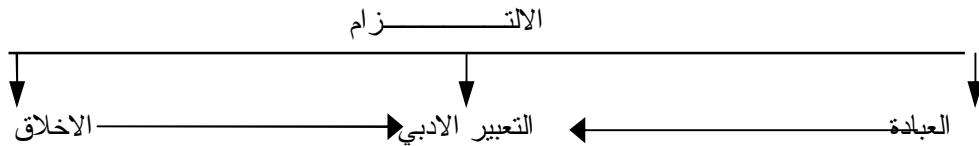
وبعد ان عرض الشاعر للشرك الظاهر أعقبه بالشرك الباطن المتسريل بالجذر (سلم)، المتلقي عن اعتقاد اهل (الحلول والاتحاد) أو ما أسماه الدكتور عماد الدين خليل في نقده بـ: "الوثنية الطبيعية"^(٧٦). وقد اعتاد الشاعر بعد ان يعرض للمنحرفات ان يبين الحق والصواب

حتى لا تختلط المفاهيم. وقد قطعت القافية اكمال البيت اذ (لم يكن اجزاء) ليقترض الكمال والعلو فالمباينة فبطلان الحلول.

فتنائية (دين التوحيد/الوثنية) تأخذ ابعادا اكبر من كونها ضدية فحسب بل ان سمتها العظمى هي: المواجهة، الحق من الاول والباطلة من الثاني. وقد الصق الشاعر بالوثنية (موروثية) تيمنا بالقرآن الكريم عند عرضه لتبارير المشركين: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾^(٧٧)، ومن اشهر علاقات التوارث هي التي بين الرجال وابائهم، وان كانت لفظة (أبَاء) تتعدى الواحد إلى مفاعيل كثيرة. وافرزت (ابدا) أمداً من الاستمرارية المعطاة لتلك الدعوة في صراعها مع الباطل. ولذا فانها اكتسبت نوعاً من الخصوصية لأفقتها.

ب. الالتزام

وهو ما أسماه عماد الدين خليل: بالتعبير الادبي عن الرؤية الاسلامية^(٧٨) ولئن كان الالتزام يتعلق بـ (ماذية) القول، أي مضمون الابداع ومقصديته عند بعض كتاب الادب الاسلامي^(٧٩). فان عقيدة التوحيد تدخل معه أيضاً المنهج العملي. إذ ليست العقيدة مجرد أقوال مرفوعة عن القواعد أو فلسفة (ماورائية)، أو نظريات تصحح غداً ما خطأت أو رأت. بل إنها انبثاق كامل عن المنهج الالهي (الشمولي) وقد أحصت مفردات الحياة عدداً، وانها كما يقول صادق الرافعي " أساس العمل في الاسلام اخضاع الحياة للعقيدة"^(٨٠) فإن " طاقات العقيدة في النفس الانسانية ثرية ولودة"^(٨١) لما تفرزه من أفعال خيرة متراكمة على درب المسلم. ويمكننا بيان امتدادات الالتزام وفق المرتسم الآتي:



ويرى النقاد وجوب ان يكون في الشاعر مثال الانسان الخلقي لعصره، ويقصدون من ذلك: أن سبيل الشاعر في الحياة هو أن يبين لمعاصريه مثالب مايسرون عليه، وفضائل الطريق المثالي التي يجنونها لو اتبعوا دعوة الشاعر، فيصلح ادراكهم، ويقوم نظراتهم وما انحرف منهم، وبهذا يكون في سيره دائب لتحقيق هدفه^(٨٢).

ولذا فإن حضور الاتباع وحدوده التوجيهية يشكل ضرورة للاخذ بما ثبتت عليه الحجة ويقصد بها الدليل، من الكتاب والسنة واجماع السلف الصالح^(٨٣).

وما الدين إلا حكمة جوهرية مبرأة من كل وصل لذي وصم علينا بأخذ الصالحات ونبذ ما سواها ونبذ الصالحات من الظلم^(٨٤)

لقد اتسمت العقيدة الإسلامية بأركان مرسومة، تحيط بالمسلم لتوجهه نحو الانقياد لله رب العالمين، فقد صاغ الله سبحانه وتعالى العقيدة وفق نسيج سلس وبسيط، تيسيراً للإنسان ليؤمن بها، وهذا ما عبر عنه الملاح بقوله (حكمة جوهرية) الدالة على (موافقة الحق، الصواب والسداد، العدل، الموضوع على الاصل، الضروري) وبعبارة أخرى انهما يعنيان: الجزالة الحقة المبتعدة عن (الوصفات) الاضافية، التي هي في بؤرة امرها (يدع) نهى الشارع عنها ليحذرها المتلقي. وقد أعرض الشاعر عن ذكرها لكثرتها وتعدد مساربها معاً. في حين عرض الملاح (الصالحات) في ثنائية (الاخذ/النبذ) المتضادة. إذ شكل (الاخذ) معالم الالتزام بالدين الاسلامي وما ينبثق عنه من (حركات وسكنات). وهذا ليس صعباً على المسلم، أي ان عملية الاحاطة ليست محالة، مادامت محصورة في معالم بيّنة. في حين شكل (النبذ) شركاً عظيماً.

الخاتمة

توصلنا من خلال دراسة العقيدة في شعر محمود الملاح ال جملة من النتائج، سنحاول بيانها في النقاط الآتية:

١. تشكل العقيدة اهم المضامين الشعرية عند الملاح، لذا نرى امتداداتها متسعة للغاية، وقد اعطاها الشاعر مساحة واسعة في خطابه.
٢. تضم العقيدة اطراف سلسلة الاتصال، ابتداءً من الالهي و من ثم النبوات وانتهاءً بالبشري.
٣. ان العقيدة الاسلامية (نقلية) لانها مستمدة من الكتاب والسنة، وان دور العقل فيها هو الفهم لا اكثر.
٤. ان العقيدة الاسلامية شاملة لا يند عنها شئ.
٥. شملت العقيدة (الالوهية) ومعطياتها المقدسة، ووجد فيها (الالتزام) لمعرفة مدى استجابة المتلقي للخطاب الالهي.
٦. تضم العقيدة الايمان واركانه القلبية، واللسان ومعطياته الكلامية، والفعل وامتداداته السلوكية.

الهوامش:

- ١- ينظر: (محمود الملاح شاعراً) رسالة ماجستير تقدم بها الباحث، وبإشراف د. عبد الستار البدراني.

- ٢- فقيد العلم والدين، الملاح، الفتح، ٢٣ ذو القعدة ١٣٦٩، العدد ٦٩
- ٣- ديوانه المخطوط، ١٤/٨
- ٤- ذهب إلى ذلك الاستاذ سعيد الديوه جي، في لقاءٍ معه بتاريخ ١٣/٧/١٩٩٩.
- ٥- في اللقاء الذي دار معه في ١٣/٧/١٩٩٩
- ٦- معجم المؤلفين العراقيين، كوركيس عواد، ٣/٢٨٣-٢٨٤
- ٧- ديوان ابراهيم المشهداني، ٢١٨ (المخطوط)
- ٨- لسان العرب المحيط، ابن المنصور (عَدَّ)
- ٩- مجموع فتاوى شيخ الاسلام احمد ابن تيمية، ٣/٣٢٧.
- ١٠- خواطر في الحياة، ديوانه المخطوط، ١١/٦٣
- ١١- نظرات في الحياة، ديوانه المخطوط، ٤/١٠، ينظر:مجلة اليقين،ج٨، شعبان ١٣٤٢، ص ٦٣٠-٦٣١
- ١٢- النمل/ ٨٨
- ١٣- الاسراء/ ٤٤
- ١٤- فخر الانام، ديوانه المخطوط، ١٣/١٧، ينظر: الهداية، ٢١ ربيع الاول ١٣٤٩، العدد ١٩.
- ١٥- الرسول الاعظم ديوانه المخطوط، ١٠/١٨، ينظر: الزمان، ١٨ ربيع الاول ١٣٥٦، العدد ١٣.
- ١٦- النور/ ٥٥
- ١٧- الحج/ ٧٥
- ١٨- السيد الاعظم، ديوانه المخطوط، ١٠/٢٠
- ١٩- الحج/ ٧٨
- ٢٠- الاشهر الحرم بين الجاهلية والاسلام، ديوانه المخطوط، ١/١٠، ينظر: الاخاء الوطني، ١٠ ذي الحجة ١٣٥٢، العدد ٦٢٤
- ٢١- تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، محمد مفتاح، ٦٥-٦٦
- ٢٢- معلقة الحرب، ديوانه المخطوط، ٢/١٠-١١
- ٢٣- لسان العرب، (ملك)
- ٢٤- فاطر/ ١
- ٢٥- العقيدة الاسلامية خصائصها واثارها، ٢٠٥
- ٢٦- الانعام/ ١١٦
- ٢٧- الامة العربية، ديوانه المخطوط، ١/١٤
- ٢٨- تحليل الخطاب الشعري، ١٤١
- ٢٩- نفسه، ١٤٢

- ٣٠- نفسه، ١٤٢
- ٣١- البينة/ ٦
- ٣٢- تحليل الخطاب الشعري، ١٤١
- ٣٣- علم الاجتماع الديني، عبدالله الخريجي، ٣٥
- ٣٤- في حفلة تأبين شعلان ابو الجون، ديوانه المخطوط، ٣٣/٣
- ٣٥- تفسير ابن باديس، ١٩٤
- ٣٦- القاموس المحيط، الفيروز آبادي، (الواحد)
- ٣٧- العقائد الاسلامية، عبدالحميد بن بابيس، ٥٣
- ٣٨- مجموع السنة، ١٨٤/١
- ٣٩- أسس التقدم عند مفكري الاسلام في العالم العربي الحديث، فهمي جدعان، ١٨٦
- ٤٠- خواطر شتى، ديوانه المخطوط، ٨/٧
- ٤١- اصول الدعوة، عبدالكريم زيدان، ٢٤
- ٤٢- الانبياء/ ٩٨
- ٤٣- يوسف/ ١٠٦
- ٤٤- العقائد الاسلامية، ٥٤
- ٤٥- نفسه، ٥٥
- ٤٦- الاعراف/ ٥٤
- ٤٧- لو قدر للسود ان يسودوا البيض، ديوانه المخطوط، ٢١/١٧
- ٤٨- مجموع السنة، ٣٠٧/٢
- ٤٩- العقيدة الاسلامية خصائصها واثارها، عبدالحليم احمدي، ٥١
- ٥٠- متفق عليه، رواه البخاري، جوائز، ١٣٥٩. مسلم، القدر، ٢٦٥٨ واللفظ لمسلم
- ٥١- البقرة/ ١٣٨
- ٥٢- العقائد الاسلامية، ٤٩
- ٥٣- قاموس المحيط، (فوق)
- ٥٤- صوت البلاد، ديوانه المخطوط، ٢/٥، ينظر: البلاد، ٩ رجب ١٣٤٨، العدد ٢٨
- ٥٥- اطراف المغازل كاطراف الذوايل، ديوانه المخطوط، ٥/٧
- ٥٦- بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل، ٢٠
- ٥٧- مباحث ودراسات في الاسماء والصفات، محمد الامين الشنقيطي، ٨
- ٥٨- الفتح/ ١٠

- ٥٩- رواه مسلم، الامارة، ١٨٢٧
- ٦٠- التوحيد، مجلة اسلامية المعرفة، العدد ١، ١٤٠٦، ص ٧٧
- ٦١- معلقة الحرب، ديوانه المخطوط، ١٣/٢
- ٦٢- رواه مسلم، زكاة، ١٠١٤
- ٦٣- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، ٥٥
- ٦٤- دمعة الوفاء على فقيدها، ديوانه المخطوط، ينظر: السجل، ١٠ ذو الحجة ١٣٦٩، العدد ٨٦٦
- ٦٥- رواه مسلم، الايمان، ٨
- ٦٦- شفاء العليل، ٤٤٣
- ٦٧- مجموع السنة، ٣٠٧/٢-٣٠٨
- ٦٨- العقائد الاسلامية، ٥٥
- ٦٩- الذاريات/ ٥٦
- ٧٠- التوحيد، اسلامية المعرفة، ١٤٠٦، العدد ١، ص ٧٨
- ٧١- التوحيد، اسلامية المعرفة، ١٤٠٦، العدد ١، ص ٧٩
- ٧٢- في النقد التطبيقي، ١٦
- ٧٣- دمعة الوفاء على فقيدها، ديوانه المخطوط، ١/١٤، ينظر: السجل، ١٠ ذو الحجة، ١٣٦٩، العدد ٨٦٦
- ٧٤- الزمر/ ٦٥
- ٧٥- متفق عليه، رواه البخاري، التوحيد، ٧٥٣٢. مسلم، الايمان، ٨٦
- ٧٦- في النقد التطبيقي، ١١٩
- ٧٧- الزخرف/ ٢٣
- ٧٨- في النقد التطبيقي، ١١
- ٧٩- جمالية الادب الاسلامي، محمد اقبال عروي، ٩٦
- ٨٠- وحي القلم، ٩
- ٨١- الانسان في الادب الاسلامي، محمد عادل الهاشمي، ٥٤٤
- ٨٢- النقد الادبي الحديث، محمد غنيمي هلال، ٤٨١
- ٨٣- جامع العلوم والحكم، ابن عبدالبر، ١٧/٢
- ٨٤- فنعم الجهاد العلم في بزة السلم، ديوانه المخطوط، ٥/٤، ينظر: الاستقلال ١٠ ربيع الثاني ١٣٤٢، العدد ٢٨٤

مكتبة البحث

أ. الكتب

١. أسس التقدم عند مفكري الاسلام في العالم العربي الحديث، فهمي جدعان، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٩٧٩.
٢. اصول الدعوة، عبدالكريم زيدان، د(ع)، بغداد، ط٢، ١٩٧٥.
٣. الانسان في الادب الاسلامي، محمد عادل الهاشمي، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، د(ت).
٤. العقائد الاسلامية من الايات القرآنية والاحاديث النبوية، الامام عبدالحميد بن بابيس، رواية محمد الصالح رمضان، مطابع الكيلاني، القاهرة، د(ت).
٥. العقيدة الاسلامية خصائصها واثارها، عبدالحليم احدي، البيروق للطباعة والنشر، الكويت، د(ت).
٦. القاموس المحيط، الفيروزآبادي، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط١، د(ت).
٧. النقد الادبي الحديث، محمد غنيمي هلال، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٣.
٨. بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل، عالم المعرفة، الكويت، ١١٤، ١٩٩٠.
٩. تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، محمد مفتاح، دار التنوير للطباعة والنشر، الدار البيضاء، ط١، ١٩٨٥.
١٠. تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، جمع وترتيب: محمد الصالح رمضان وتوفيق شاهين، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٩٦٤.
١١. جامع بيان العلم وفضله، ابن عبد البر، دار الكتب العلمية، بيروت، د(ت).
١٢. جمالية الادب الاسلامي، محمد اقبال عروي، المكتبة السلفية، الدار البيضاء، ط١، ١٩٨٦.
١٣. شرح صحيح مسلم، النووي، دار القلم، بيروت، ط١، ١٩٨٧.
١٤. شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، شمس الدين ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٢.
١٥. علم الاجتماع الديني، عبدالله الخريجي، دار التوفيق النموذجية، جدة، ط١، ١٩٨٢.
١٦. فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، ت: عبد العزيز بن باز ومحمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٩.
١٧. في النقد التطبيقي، عماد الدين خليل، دار البشير، عمان، ١٩٩٨.
١٨. لسان العرب المحيط، ابن المنظور اعداد: يوسف خياط، دار لسان العرب، بيروت، ط١، د(ت).
١٩. مباحث ودراسات لآيات الاسماء والصفات، محمد الامين الشنقيطي، د(م)، ١٩٩٠.
٢٠. مجموع السنة، محمود الملاح ومحمد بهجت البيطار ومحب الدين الخطيب، القاهرة، د(ت).

٢١. مجموع فتاوى شيخ الاسلام احمد ابن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن النجدي، مكتبة النهضة الحديثة، مكة شارع الحرم، ١٤٠٤هـ.

٢٢. معجم المؤلفين العراقيين في القرن التاسع عشر والعشرين ١٨٠٠-١٩٦٩، كوركيس عواد، مطبعة الارشاد، بغداد، ١٩٦٩.

٢٣. وحي القلم، مصطفى صادق الرافعي، تح: محمد العريان، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ط٤، ١٩٥١.

ب. الرسائل الجامعية والمخطوطات

١. ديوان ابراهيم المشهداني، (مخطوط).

٢. محمود الملاح شاعر، اسماعيل ابراهيم فاضل، (رسالة ماجستير) باشراف د. عبد الستار البدراني.

ج. الدوريات

١. الاشهر الحرم بين الجاهلية والاسلام، الاخاء الوطني، ١٠ ذي الحجة ١٣٥٢، العدد ٦٢٤.

٢. التوحيد، مجلة اسلامية المعرفة، العدد ١، ١٤٠٦.

٣. الرسول الاعظم، الزمان، ١٨ ربيع الاول ١٣٥٦، العدد ١٣.

٤. دمة الوفاء على فقيد الحنابلة، السجل، ١٠ ذو الحجة ١٣٦٩، العدد ٨٦٦.

٥. صوت البلاد، البلاد، ٩ رجب ١٣٤٨، العدد ٢٨.

٦. فخر الانام، الهداية، ٢١ ربيع الاول ١٣٤٩، العدد ١٩.

٧. فقيد العلم والدين، الملاح، الفتح، ٢٣ ذو القعدة ١٣٦٩، العدد ٦٩.

٨. فنمجهاد العلم في بزة السلم، الاستقلال ١٠ ربيع الثاني ١٣٤٢، العدد ٢٨٤.

٩. نظرات في الحياة، مجلة اليقين، ج٨، شعبان ١٣٤٢.